سياسية ثقافية نصف شهرية مستقلة | السنة الثالثة | العدد 117 | 1 | تشرين الأول 2015
www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com

أنا جذورٌ لا تعيش بغير أرض

صورة الغلاف لوكالة سمارت - المصور الشهيد: عبادة غزال

"الأذن العسكري" طريقة جديدة لدخول تركيا

عبيدة العمر

في ظل إغلاق السلطات التركية للمعابر النظامية مع سوريا يتدفق آلاف السوريين عبر الحدود للدخول بطريقة غير شرعية إلى تركيا، تتعدد الأماكن التي يدخل منها السوريون إلى داخل تركيا فمن القامشلي شرقاً إلى تلّ أبيض واعزاز وعفرين وجسر الشغور غرباً، جميعها نقاط لتهريب البشر والحيوانات والبضائع الى الداخل التركي.

يتعرض السوريون إلى مخاطر عديدة أثناء رحلتهم لعبور حدود تركيا ولعلّ أصعبها هو اطلاق الرصاص الحي من قبل الجيش التركي على الوافدين، حيث سجل مقتل العشرات من المدنيين على طول الحدود، في حين تكون المخاطر الأخرى كالاعتقال لمدة يوم أو يومين أو الضرب المبرح هي الاحتمال الأكبر المتوقع حدوثه.

«الإذن العسكري» طريقة جديدة للدخول إلى تركيا وتتلخص بتقديم «المهرب» مبلغاً من المال للعسكري التركي الموجود على نقطة ما على الحدود مقابل أن يسمح العسكري للسوريين بالدخول إلى تركيا «أبو محمد» سائق سرفيس يعمل على خط التهريب بريف ادلب الغربي تحدث ل» زيتون» قائلاً: «

أقوم يومياً بنقل عشرات الركاب من ريف ادلب إلى نقاط التهريب لتركيا على الحدود الشمالية حيث يكون «المهرب» وهو سوري الجنسية وابن المنطقة بانتظاري، أقوم بتسليمه الركاب وأنتظر عبورهم الى داخل تركيا وعندما ينجحون بالدخول أعود الى منزلي».

«أحمد» شاب من ريف جسر الشغور يعمل «مهربا» من سوريا إلى تركيا ويمضي كل نهاره على نقطة التهريب وقد يضطر أحيانا لبقاء اليوم بكامله في نقطة التهريب بسبب الأعداد الكبيرة من الوافدين، في تصريح خاص ل» زيتون» يقول أحمد: «

في السابق كنا نتقاضى مبلغ 500 ليرة سورية مقابل تهريب شخص واحد إلى تركيا وارتفع المبلغ تدريجيا حتى وصل الآن إلى 25000 ليرة، نحن نقوم بتأمين «إذن عسكري» للسماح للناس بالوصول لتركيا بالمقابل نقوم بدفع المال للعسكري للتركي الذي لم يعد يسمح للناس بالدخول اذا لم نعطيه هدية ثمينة أو مالاً» ولم يعمم أحمد هذا الأمر على كل الجنود الأتراك بل إن بعضهم يساعدون الناس دون جزاء، ويقول أحمد إن مئات العائلات يدخلون من نقطته إلى تركيا يومياً حيث يسلكون طريقاً برياً طويلاً مليئاً بالأشواك ويستمرون بالسير لفترة قد تصل إلى أربعة ساعات متواصلة دون استراحة، في معظم الأحيان يبدأ المسير ليلاً فيغتنم الوافدون فرصة غياب حرس الحدود التركي أو نومه ويتمكنون من الوصول إلى القرية التركية القريبة من الحدود ويصبحون في وضع آمن من الملاحقة والاعتقال وتكون السيارات التركية بانتظارهم لنقلهم إلى مدينتي الريحانية وأنطاكيا.

يعد الخروج من تركيا أمراً في غاية الصعوبة والخطورة ويكون أصعب من محاولة دخولها، يحتاج السوريون إلى بطاقة «كيمليك» التركية للدخول إلى سوريا عن طريق المعابر النظامية التي يقوم كل معبر منها بإدخال مئتي سوري يومياً بعد تسليمهم هوياتهم التركية إلى إدارة المعبر، ولا يحق لمن سلم هويته استخراج هوية أخرى هذا ما يجعل معظم الناس يختارون طرق التهريب رغم خطورتها، فقد شهدت منطقة أطمة الحدودية قبل عدة شهور حالات متكررة لمقتل سوريين حاولوا تخطي السياج الحديدي ودخول الأراضي السورية منهم قادة في الجيش السوري الحر كقائد لواء شهداء كرناز «عبد الرحمن ممدوح الحسن» فهل سيتوفر للسوريين إذن عسكري للعودة من تركيا إلى بلدهم دون أن يتعرضوا لإطلاق نار أو اعتقال؟.

القضاء الموحد التابع لجبهة النصرة

يعدم فتى بتهمة الشذوذ بعد اعتقال عام

تحرير زيتون

رائحة الموت لم تفارق شارع بغداد قرب مدينة حريتان حتى الآن، هكذا وصف أحد الناشطين المكان الذي أقيم فيه «الحد التعذيري» الذي هو القتل رمياً بالرصاص على فتى ما زال لم يكمل أيام قليلة من عامه الـ 17، وأكمل الناشط حديثه عن وصف هول المشهد قائلاً:

سمعت صوت النساء تصرخ وتبكي لهول المنظر حينها، لم يفارق الطفل الحياة بالطلقة الأولى، وبدأ يتلوى على الأرض، لترتفع وتيرة الذعر عند الناس مع الطلقة الثانية.

أحمد كلش طفل قضى عاماً كاملاً في سجون «القضاء الموحد» منتظراً أن يتم عامه الـ 17 كي يصبح بالغاً من أجل إقامة الحد عليه، بتهمة ممارسة فعلة قوم لوط، بعد أن تم القاء القبض عليه عندما قام برفع دعوة قضائية لدى القضاء ضد أشخاص «اغتصبوه» ظناً منه ومن أهله أن القضاء سوف ينصفه ويأخذ له حقه ويعاقب الجناة، المحسوبون على إحدى الفصائل بمدينة حلب، ليتحول من مدعي لمتهم، ويصدر بحقه حكم القتل رمياً بالرصاص، بحجة أن الممارسات كانت بإرادته، ليقتل في أيام ما قبل العيد، في قصة تشبه إلى حد كبير ما جرى للشهيد محمد قطاع، ذلك الطفل الذي قتل بدم بارد، رمياً بالرصاص، تحت اسم الدين، الذي لا يجيز القتل بمثل هذه الحالات، هذا ما أوضحه الشيخ محمد عبد الله نجيب سالم معلقاً على قرار الإعدام قائلاً :

أولا: البيان فيه مغالطات شرعية لا يوجد اجماع للصحابة على عقوبة القتل، وكل النصوص في ذلك ضعيفة وحتى الحديث الذي صححه الألباني فيه مقال وبعض المحدثين ضعفه.

وفقهيا: المذهب الحنفي الذي حكمت به بلاد الشام أيام العباسيين وأيام العثمانيين لا يجيز القتل في اللواط بل التعزير، والتعزير لا يصل للقتل عندهم وعند الشافعية والحنابلة إن حكم اللواط هو حكم الزنا يعني غير متزوج لا يقتل وإنما يجلد، والمسألة خلافية عند الفقهاء لأنه لا يوجد نص صحيح صريح حاسم، ففي المسائل الخلافية ينبغي ألا تراق الدماء بل يحتاط بها.

ثم حتى لو افترضنا أن الحكم هو القتل: الذي يقوم به هو الامام يعني رئيس دولة وليس قضاة وهيئات شرعية وهذا سبب «التخبيص» لدى كل الهيئات الشرعية ودور القضاء فالحدود ليست لأي قاض أو عسكري أو حامل سلاح أو حتى شيخ، وحكم دار القضاء باطل شرعا ودم المقتولين في رقابهم، واستسهال الدماء واستحلالها يدل على قلة تقوى وقلة ورع ومثل هؤلاء هم أحد أسباب تأخر النصر.

حيث أصدرت دار القضاء التي تضم قضاة وشرعيين من جبهة النصرة وجبهة أنصار الدين وغيرهم، حكما بإعدام كل من أحمد كلش بن محمد وفراس حمدان بن اسماعيل وعلي الحسين بن الحسن.، و بعد تصديق هذا القرار من المجلس القضائي قررت لجنة تنفيذ الأحكام تنفيذ الحكم وفق الأصول الشرعية».

وعلى الرغم من إعلان دار القضاء أن المتهمين الذين صدرت بحقهم أحكام الإعدام اعترفوا بقيامهم بارتكاب هذه الأفعال، غير أنه ووفقا لبيانه الأول، لا يزال منهم ممن وردت أسماؤهم في التحقيقات، طلقاء ومن بينهم شقيق أحد أمراء إحدى الفصائل المشكلة لدار القضاء، وفي البيان المتضمن صدور حكم الإعدام، لم تأت دار القضاء على ذكر أسماء بعض المتهمين الآخرين، في خطوة فسرها عدد من الناشطين بأنها ترمي الى تحييد المذنبين الحقيقيين المنتمين إلى فصيل مقاتل، والذين اغتصبوا الطفل.

أما الكتيبة التي قامت باعتقال احمد كلش بحلب قالت أنها ألقت القبض على مجموعة من اللصوص وكان من بينهم أحمد، وأثناء التحقيق عن السرقة ادعى أحمد على كل من فراس حمدان وعلي الحسين الملقب بالـ «الكبش» وحسان أبو طيرة شقيق فراس حمدان وعلى محمد عبيسان الملقب بالـ «أسود» وزكريا البكاري من حي القاطرجي ومحمد العبد من الميسر، بتهمة اغتصابه مرات متكررة تحت قوة السلاح والتهديد، فتم طلب والد أحمد الى مقر الكتيبة، وابلاغه بالقضية، وتم تنظيم ضبط بحق المتهمين الذين اعترفوا باغتصاب محمد، وأن أحمد ووالده أصبحا مدعيين ضد المتهمين، وتم تحويلهم جميعاً الى دار القضاء، التي بادرت للكشف طبياً على أحمد، حيث أكد الكشف وجود حالة اغتصاب، وكان حينها لم يتجاوز الـ 16 من عمره، ويبقى في سجن القضاء الموحد عاماً كاملاً ليكون جاهزاً للقصاص منه، عندما أصبح مداناً بدلاً من مدعي، يقتل هو ويبقى مغتصبيه طلقاء دون أي ملاحقة.

مظاهرة في حلب احتجاجا على اعدام الطفل احمد كلش

انضمام جيش المجاهدين والأنصار لجبهة النصرة

محمد علاء

أعلن جيش المهاجرين والأنصار بيعته لجبهة النصرة وتركه لجبهة أنصار الدين، التي عمل على تأسيسها والمشاركة بمعارك باسمها، وسط خلافات حادة في البيت الداخلي للجيش، أدت لانقسامه قسمين، قسم بايع النصرة وقبل العمل معها ضد النظام وتنظيم الدولة وغيرها، وقسم آخر آثر البقاء مع القائد السابق للجيش «صلاح الدين شيشاني» تحت اسم إمارة القوقاز، وتجنب الدخول بأي معارك جانبية ضد أي جهة كانت غير قوات النظام والمليشيات الداعمة لها.

يعتبر جيش المهاجرين والأنصار من أهم الفصائل العسكرية في ريف حلب ويضم نسبة مهاجرين ضخمة تتجاوز ال٪90 من تعداد مقاتليه أغلبهم من الشيشان والقوقاز والأوزبك والتركستان، وتعتبر كتيبتي البخاري والقوقاز من أهم وأقوى كتائب الجيش.

بايعت كتيبة البخاري جبهة النصرة، وبقيت كتيبة القوقاز مع صلاح الدين، وهم ذو خبرة قتالية كبيرة وتدريب عالي وجميع القيادات في جيش المهاجرين والأنصار هم من المهاجرين، في حين يقتصر عمل المقاتلين السورين التابعين لجيش المهاجرين والأنصار على عمليات التواصل والمواصلات والترجمة وتأمين خطوط الدعم لهم.

تقدر أعداد جيش المهاجرين والأنصار بـ «900» عنصر من المهاجرين قابلة للنقصان وليس للزيادة في حين ارتفع أعداد عناصره مؤخرا الى «1500» بعد قبول بيعات من مقاتلين سوريين معظمهم من جبهة النصرة وحركة أحرار الشام وحركة فجر الاسلامية، ويملك الجيش أعداد قليلة من الأسلحة الثقيلة من دبابات ومدرعات ومدافع فيما يعتمد الجيش على السيارات الرباعية الدفع والأسلحة المتوسطة ومدافع الهاون في أغلب معاركه التي يخوضها.

اشترك جيش المهاجرين والأنصار في معارك كثيرة وكبيرة، وكان لهم دور كبير في ايقاف تقدم قوات النظام في كثير من مناطق حلب «حندرات-والملاح-باشكوي-رتيان-حردتين- الرشادية» فيما شارك في معارك اقتحام فرع المخابرات الجوية وأبنية جميعة الزهراء في مدينة حلب ومؤخرا شارك جيش المهاجرين والأنصار بشكل فعال في قتال قوات النظام ومليشياته الشيعية في ادلب، حيث شارك في معارك تحرير مدن ادلب وجسر الشغور وأريحا والمعارك الدائرة حاليا في محيط بلدتي كفرية والفوعة الشيعيتين أخر معاقل النظام في ريف ادلب.

يعود تاريخ جيش المهاجرين والأنصار الى بداية عام 2012 وكان تابعا لجبهة النصرة تحت مسمى «جيش المهاجرين» بقيادة «عمر الشيشاني» وزير حرب الدولة الاسلامية حاليا، وعند انفصال الدولة الاسلامية عن جبهة النصرة قام «عمر الشيشاني» بترك جيش المهاجرين والأنصار هو وعدد كبير من المقاتلين في هذه الجيش وبايع الدولة الاسلامية في حين أسس ما تبقى من جيش المهاجرين بقيادة «سيف الدين الشيشاني» «جيش المهاجرين والأنصار» ليفتح حينها باب الانتساب للسورين «الأنصار ».

ويعتبر «سيف الدين الشيشاني» من الشخصيات المحبوبة لدى الأوساط المحلية في ريف حلب، كونه لم يتدخل في أمور السكان المحلين، وكان دوره قتال قوات النظام السوري فقط.

استشهد سيف الدين الشيشاني بتاريخ 5-12-2014 خلال محاولة اقتحام فاشلة لسجن حلب المركزي ليستلم بعده «صلاح الدين الشيشاني « قيادة الجيش وهو رفيق «عمر الشيشاني « وزير حرب الدولة الاسلامية, حيث قام «صلاح الدين الشيشاني» بزيارة مدينة الرقة معقل الدولة الاسلامية في سوريا وإلتقى «عمر الشيشاني» وطرح مبادرة تنص على الصلح بين جبهة النصرة وأحرار الشام من جهة والدولة الاسلامية من جهة أخرى، وإلتزام كل طرف منهم بجبهاته مع قوات النظام، ولكن عمر الشيشاني رفض المبادرة بشكل كامل.

قام جيش المهاجرين والأنصار بتأسيس «جبهة أنصار الدين» في منتصف عام 2014 مع مجموعة من الجماعات الاسلامية ذات الفكر السلفي الجهادي «الكتيبة الخضراء- حركة فجر الاسلامية –حركة شام الاسلام» وهي جبهة مستقلة ذات فكر اسلامي متشدد ودعم محدود، وكان لها بنية تنظيمية جيدة، لها مكاتب شرعية ومعسكرت تدريب وهيئة قضائية ...الخ, وكان على عاتقها مقاتلة النظام في عدة جبهات صعبة «ريف حلب الجنوبي-حي الراشدين، حندرات ومحيطها بمدينة حلب» ولم تقم بمقاتلة الدولة الاسلامية مع باقي الفصائل ولم تقم بمساعدة تنظيم الدولة في قتالها للفصائل فقد إلتزمت الحياد في الاقتتال الدائر بين تنظيم الدولة والفصائل في سوريا، مع تقدم الوقت بايعت أعداد كبيرة من جبهة أنصار الدين لتنظيم الدولة وخاصة من عناصر «الكتيبة الخضراء» وهذا ما عمل على ضعف هذه الجبهة.

ومنذ عدة أسابيع قام مجلس الشورى التابع لجيش المهاجرين والأنصار بعزل «صلاح الدين الشيشاني» أمير الجيش بسبب مشاكل داخلية في الجيش، كان أبرزها رفضه لقتال تنظيم الدولة حيث تم ارجاعه ليكون جنديا عاديا في صفوف هذا الجيش وليستلم «أبو إبراهيم الخرساني « الإمارة العامة للجيش، مؤخرا أبدى جيش المهاجرين والأنصار ميولا الى جبهة النصرة وخصوصا بعد مشاركته جبهة النصرة في معارك تحرير ادلب، حيث قامت جبهة النصرة بتزويد جيش المهاجرين والأنصار بالعتاد والأسلحة اللازمة للقتال في ادلب، كما وقع عدد من شرعي جيش المهاجرين والأنصار من «المهاجرين» وثيقة تفاهم مع شرعيين آخرين «مهاجرين» من حركة أحرار الشام وجبهة النصرة لقتال تنظيم الدولة واعتبارهم خوارج ويستوجب قتالهم.

وتعتبر بيعة جيش المهاجرين والأنصار لجبهة النصرة دعما كبيرة لجبهة النصرة في سوريا، كون هذه البيعة ستسهم في زيادة أعداد جبهة النصرة وتزويدها بخبرات عسكرية وقتالية كبيرة فالمقاتلين في جيش المهاجرين والأنصار ذو خبرة قتالية كبيرة اكتسبوها خلال قتالهم للقوات الروسية في بلاد القوقاز خلال الأعوام الماضية.

عناصر من جيش المهاجرين والأنصار تبايع البغدادي

فشل قوات المعارضة المعتدلة في ريف حلب الشمالي

منهل باريش

يحاول تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» قضم المزيد من المساحات في ريف حلب الشّمالي، رغبة منه للوصول إلى معبر باب السلامة الاستراتيجي، بعد فشله في السيطرة على مدينة مارع.

وتزامنت تحركات تنظيم «داعش» مع دخول الدفعة الثانية من القوات المدّربة أمريكياً إلى الريف الشمالي لمحاربة التنظيم، حيث تمركزت القوات المدربة في إحدى قرى ريف حلب الشمالي.

عن الأوضاع الميدانية، قال العقيد محمد الأحمد الناطق باسم «الجبهة الشامية» في تصريح لـ«لزيتون»:

«إنّ جبهة القتال بين التنظيم والفصائل تشهد اشتباكات متقطعة بشكل عام ومحاولات تسلل لعناصر داعش، وأحبطنا تسلل لعدد من عناصره - يوم الاربعاء الماضي- من محور مزارع كفرة، حربل، وحتى حرجلة قرب الحدودالتركية».

ودخلت القوات المدّربة أمريكياً على خط المواجهة مع التنظيم في ريف حلب، بعد دخول 50 عنصراً كدفعة أولى، و75 آخرين كدفعة ثانية، لكن ما أعاق وجودهم فعلياً وجود «جبهة النصرة» التي اعتقلت القائد العسكري للفرقة 30 المدربة أمريكياً العقيد نديم الحسن وعدد من مرافقيه وفشل كل الوساطات التركية.

وذكرت وسائل إعلام محلية أن العناصر المدربة أمريكاً سلمت نفسها لجبهة النصرة مع سلاحها، الأمر الذي نفاه قيادي في الفرقة30 فضل عدم ذكر اسمه، ونفى القيادي تسليم أي من عناصره أنفسهم و أسلحتهم لجبهة النصرة، مشيراً إلى أنّ لقاء كان بين قيادات في النصرة وأخرى في الفرقة من أجل توضيح عدد من الأمور وليس لقاء «مبايعة» كما أشيع، وذكر أن «الأسلحة المسلّمة لهم لا يستطيع أحد التعامل معها سوى المتدربين».

وأشار القيادي إلى أن الدفعة الأخيرة التي وصلت من القوات المتدّربة بلغت 75 عنصراً، اتخذوا من قرية في الريف الشمالي مقراً لهم -تتحفظ زيتون عن ذكرها لأسباب أمنية- مبيناً أنّ المتدربين سابقاً «لم يسقط منهم أحد قتيلاً، نتيجة قصف النظام أو القتال مع داعش».

الناطق باسم « الجبهة الشامية» رأى أنّ استعادة السيطرة على المناطق التي سيطر عليها» تنظيم الدولة» يتعثر لعدة أسباب منها «طول الجبهة وانفتاحها بين الطرفين، كما أنّها تحتاج الى سلاح ثقيل، وكثافة نيران وتمهيد مدفعي جيد، وهي أهم الأسباب التي تعرقل استعادة النقاط التي سيطرت عليها داعش».

ووصف الناشط الإعلامي «محمد الخطيب» من مدينة مارع المعارك التي تجري الآن في الريف الشّمالي بأنها»حرب استنزاف، والخسارة كانت كبير من مقاتلي الجيش الحر».

وأشار الخطيب لـ«زيتون» إلى أنّ لمارع «وضع خاص في الصراع، كونها أحد المعاقل الكبيرة للثوار، و أهالي المدينة هم من يدافعون عنها، وعن بيوتهم، وأرضهم».

إلى ذلك صرح عضو مجلس قيادة الثورة مصطفى سيجري «عن استغلال الاستخبارات العالمية للعقيدة الإسلامية الصلبة، وتسخيرها لخدمة التنظيم».

وعزى سيجري سبب عدم قدرة الفصائل على الصمود في أغلب الأحيان في وجه داعش إلى أن» أهل الشام لديهم ورع في الدماء وكانوا يحسنون الظن بهذه التنظيمات التي دخلت سوريا بدعوى نصرة أهل الشام، ولكن هذا الأمر لم يطل، حتى تشكلت قناعة لدى أغلب السوريين أن تنظيم داعش هو تنظيم بين مُسير من قِبل المخابرات وبين مغالي في استباحة دمائهم».

ومع دخول المتدربين في المعسكرات الأمريكية ساحات القتال ضد التنظيم في الريف الشّمالي، يرى متابعون أنّ أعداد المقاتلين الذين دخلوا إلى البلاد لن تستطيع التغيير مما يحصل على الأرض، بسبب قلة أعدادها، وعدم وجود تنسيق كاف بينهم وبين الفصائل.

وحول الأعداد المتواجدة من الفرقة 30 في الريف الشمالي من حلب، يكشف قيادي في الفرقة لـ«زيتون» أنّ:» آخر دفعة دخلت إلى الشمال من ريف حلب، بلغ 75 متدرب، يملكون أسلحة ثقيلة وقناصات ومتدربين تدريباً جيداً».

وفيما يتعلق بالأعداد المتوقع دخولها خلال الأيام القادمة، يشير القيادي في الفرقة 30 إلى أنّ الأعداد متوقفة على الانتهاء من التدريبات اللازمة، ونفى أن تكون معسكرات التدريب معسكرات أميركية مشيراً إلى انّ تلك المعسكرات يقوم عليها «ضباط من مختلف دول التحالف، قطريين وأردنيين، وأمريكان وأتراك»، وأوضح أن»التدريبات التي تتم في هذه المعسكرات هي تدريبات على المركبات الثقلية وقذائف الهاون والقناصات، وأساليب قتال الشوارع، الّتي تمتاز بها داعش».

الواقع الصعب الذي تعيشه «فصائل الثوار» في خطوط المواجهة مع داعش، والفشل الجزئي للفرقة 30 من وضع موطئ قدم لها على خط الجبهة مع داعش واستهدافها من جبهة النصرة يعرض برنامج» تدريب المعارضة المعتدلة» الى الفشل الذريع بعد كل الحملة الاعلامية التي قادتها وزارة الدفاع الاميركية «البنتاغون».

البوسطة التي كانت تقل فلسطينيين

شباب في المنفى

حسين جرود

«بالنسبة لي، أوروبا لم تكن شيئاً جديداً عليّ، كنت أعيش في بلدي حياة أوربية، بإيجابياتها، بغنى عن السلبيات التي أراها على أرض أوروبا الآن.

«س.حسن» وهي شابة كردية في العشرينات من العمر تقول متحسرة: «مستحيل أن أعود الآن، لم يبقَ شيء استمرُّ عليه في سوريا، مقومات الحياة منتهية بشكل كامل، لكن إذا حصلت على شهادتي وأخذت جنسيتي الألمانية من المؤكد أني سأعود، ومن الممكن وقتها أن تكون سوريا استعادت جزءاً بسيطاً من حياتها الهادئة التي عشناها قبل الثورة».

الحرية «أوقفت كل شيء، و هاجرت إلى بلاد الحرية الباردة أفضل لي من بلاد القمع والمنع الدافئة. أشعل حسن قصاص سيجارة جديدة، وتابع حديثه من منفاه البارد: «

قدمت لي أوروبا ما أحتاج من حرية وأمان لأمارس حياتي مثل البشر.» طريق طويل ومعاناة قطعها حسن ليصل إلى هذه النقطة، كان حسن طالباً في كلية الحقوق «سنة ثالثة» وطالبا في كلية الأدب العربي في لبنان «سنة ثانية».

يحاول حسن الآن البدء من جديد وهو في السادسة والعشرين من العمر في جامعة أوسلو في النروج حيث قال :

قدمت طلباً لجامعة أوسلو قسم «الأدب العربي والثقافات» و طلباً آخر لمدرسة الأفلام لأتعلم الاخراج.

يستغل حسن كل دقيقة من وقته ويتمتع بنشاط لافت، حيث يشارك في الفعاليات الثقافية والاجتماعية بشكل شبه يومي، وهو سعيد بلقائه بمثقفين سوريين وعرب استفاد منهم، إلا أن جو الحرية هو ما كان يبحث عنه حيث قال: (أنا الحمد اللّه وقت كنت بلبنان ما كنت خاف من حدا و لحد الآن ما بخاف ولا رح خاف لأن الحياة فرصة واحدة لا تتكرر، عندما تموت لن تعود للحياة مرة أخرى، لتقول ما كان في قلبك)

حسن يريد العودة، ولكنها فرصته الأخيرة ليدرس ويتعلم ويكوّن حياته وقد عبّر عن ذلك بقوله:

«أنا سأعود في الوقت الذي ترجع فيه الثورة إلى طريقها الصحيح . أنا ليس لدي موانع للعودة الآن أيضاً إلّا أني أخشى أن أخسر حق اللجوء في النروج لأنه ممنوع علي العودة قبل حصولي على الجنسية النرويجية» رغم نشاط حسن وتفاعله مع الناس إلا أنه لم ينكر الصعوبات التي تعترض حياته هناك، فهي تجربة جديدة تجربة ليست سهلة، لا يستطيع الكثيرون للأسف الاستفادة منها، وجني الثمار، أوروبا قاطبةً مثلها مثل أي بلد في العالم قد تجد فيها الحسن والسيء.

الوقت يقول غيث عباس، مهندس شاب، وصل إلى ألمانيا منذ شهور:

(خايف من الوقت.. الألمان متل الماكينات فعلاً، ولازم نتعود على طبيعة الحياة هنا بسرعة، شغل خمسة أيام لترتاح يومين، تعب عدة أشهر لترتاح وتستجم عدة أيام بالرفاهية التي تريدها. تعب غيث كثيراً من الحواجز، وجوّ الجامعة الأمني، ولكنه حصل على شهادته أخيراً، وسافر. ما يزال غيث في طور تعلُّم اللغة ولكنه يملك شهادته التي كلفته الكثير من الصبر والتعب، يشعر بالقلق من احتمال طول فترة غربته ويقول: «كل حدا أهلو جوا سوريا أكيد رح يرجع، إذا رجعت وما في شغل أكيد ما بطول بالبلد.. بس أكيد ما بهجر أهلي كتير».

هو وجد فرصته أخيراً في مكان بعيد ويقول موضحاً: «أوروبا هي فرصة لشبابنا ليبني نفسه، ويأسس بشكل صحيح في حال عدنا و بدنا نعمر.

هجرة دائمة طارق الجلبوط، شاب سوري فلسطيني شارك قبل الثورة ببعض الفعاليات الثقافية والسياسة الفلسطينية، كما شارك في الثورة كمدني بالأعمال الاجتماعية مثل الإغاثة والدعم النفسي للأطفال, يقيم طارق في السويد منذ سنة وثلاثة شهور، وينوي الاستقرار هناك ,ويقول واصفاً حالته: الذي يخيفني من العودة هو أنني أريد إكمال حياتي بجو صحي ومجتمع صحي، وأريد لأولادي أن يعيشوا من البداية بمكان صحيح.» مضيفاً: «تجربة أوروبا بالنسبة لي هي نقلة كبيرة في حياتي من مكان لا مجال فيه لمجرد الحلم إلى مكان فيه الأحلام ممكن أن تتحقق».

تأقلم طارق بسرعة مع المجتمع الأوروبي، وأكد على الراحة والأمان التي يشعر بها هناك , يقول: عندنا فهم خاطئ عن أوروبا، والفكر الأوروبي والمجتمع وعلاقاته, العلاقات الاجتماعية هنا ممتازة بين الناس لكنها منظمة، فإذا أردتُ أن أزور أحداً أختار وقتاً يناسبني و يناسبه- ولو كان أخي مثلاً- أكيد ما رح أفرض حالي عليه و أعطله عن شغل مهم... وهذه هي الفكرة الأساسية للعلاقات.

أحلام كبيرة نتذكر فيلم النمر الأسود لأحمد زكي، وقصة الشاب الشرقي القادم إلى أوروبا لينجح في الرياضة والعمل.

هل ستتكرر القصة؟ لا بدّ أن هناك أحلاماً كثيرة حملها الشباب السوريون معهم، وفهد واحد منهم.

فهد حربة قدم حديثاً إلى ألمانيا يقول: جئت هرباً من «التشبيح» وكافه أدواته، ومن التطرف وما شابه بس يصير عنا شويه ديمقراطية وتقبل آراء الغير رح أرجع طبعاً. يريد فهد أن يواصل مسيرته الرياضية فهو لاعب كرة قدم لكنه متخوف من فترات انقطاعه الطويل عن اللعب، ويحاول استعادة مستواه ولياقته، هل ستفتح ملاعب أوروبا أبوابها لفهد؟! وهل سنجد اسمه على قوائم الأندية الألمانية؟ ربما، لكن فهد يجهز نفسه، أيضاً، لينجز كورسات في الكهرباء ليحصل على سيولة مالية، فهو لا يريد أن يعيش عالة على المجتمع حسب تعبيره.

هارب قديم هفال حسو لاجئ قديم جاء إلى ألمانيا منذ ثمان سنوات، لم يتعلم اللغة حتى الآن يقول : اللغة صارت ببلاش وإجباري من بعد سنة الألفين وثمانية.

روى لنا قصة هروبه سيراً على الأقدام من القامشلي إلى تركيا، وكيف وصل هنا ليعيش سنوات في «كامبات»، ثم خرج ليفتح دكاناً صغيرا، هفال لا يفكر بالعودة قال بصرامة:

شو بدي ساوي بسوريا ولا بغيرها، وأنا بسوريا لو ملكوني السعودية ما كنت دستها، ولا اي بلد عربي تاني غير لبنان.

من ماذا يخاف هفال؟ يجيبنا: من ولا شيء ومن كل شيء.. سوء تفاهم مع ابن ... ممكن يجيب آخرتك.

ويختم كلامه قائلاً «ملخصاً خبرة سنوات من الغربة :»هون العظمة الوحيدة اللي إلها معنى، والباقي علاك اعلامي يجب توفير المسكن والمأكل والضمان الصحي لكل انسان على الأرض الألمانية بالقانون هون منيح انو بيبين الواحد ..لأن الواحد اذا ما في خبز ما بيبين هون مقبرة أنيقة.

"سمارت" تنعي فقيدها الزميل "عبادة غزال"

نعت مؤسسة «سمارت» نبأ وفاة مراسلها في محافظة إدلب، «عبادة غزال» (أبو عامر)، الذي قضى جراء إلقاء الطيران المروحي براميل متفجرة على بلدة تفتناز، حيث أصيب بشظايا في منطقتي الصدر والكتف.

بدأ «عبادة» نشاطه الإعلامي مع انطلاق الاحتجاجات في سوريا، حيث شارك في أعمال المكتب الإعلامي لمدينة تفتناز، ونقل ما يجري من مظاهرات وحراك داخلها، ثم انضم إلى المكتب الإعلامي للواء «أحفاد علي»، التابع لحركة «أحرار الشام» الإسلامية، لينتهي به المطاف بالعمل ضمن فريق مؤسستنا منذ بدايات تأسيسها.

شهد له زملاؤه في المؤسسة بالعمل الدؤوب لتغطية أهم الأحداث التي تمر بها البلاد، خاصة سيطرة «جيش الفتح» على مدينة إدلب مؤخراً، حيث غطى الأحداث هناك بالأخبار والصور، إضافة لمعارك بلدتي كفريا والفوعة، وأهم الأحداث في ريفي حلب وحماه.

وقال مدير مؤسسة سمارت: «فجعت سمارت بخبر استشهاد الزميل عبادة، نتقدم بأحر التعازي لعائلة وأصدقاء الشهيد ونقول لهم، نحن مثلكم حزينون، نعزي أنفسنا بشهيدنا الذي عرفناه صديقاً حراً وفياً، وزميلاً متفانياً بالعمل، يحق لكم أن تعتزوا به، نفخر بعبادة واحداً من فريق سمارت، ونعاهده ومن سبقه من شهداء الثورة من إعلاميين وناشطين أن نتابع طريقنا الذي خطيناه معاً في ثورتنا».

كما قالت زميلته من قسم الصور: «لطالما كانت عدسة عبادة عيناً حرة، تنقل للعالم أحداث ووقائع الشمال السوري بكل مهنية وإخلاص».

ويشاركها الرأي زميل آخر من قسم الفيديو، الذي قال: «سخّر عبادة نفسه للقضية التي آمن بها، ولم يتركها إلا شهيداً على أرض بلده التي لم يفارقها، عبادة من الناشطين الأوائل الذين حملوا الكاميرا مع بداية الثورة، اجتهد وتطور بسرعة ليصبح من أهم إعلاميي الثورة».

وتابع: «عبادة من أوائل الذين استخدموا تقنية تصوير الواقع الافتراضي، من خلال إنتاج تقرير معركة الشمال السوري الأول من نوعه في سوريا، من حيث تقنية التصوير المستخدمة».

باسمنا وباسم كل من أحزنهم غيابه، نتقدم بخالص العزاء لزوجته وعائلته، ونسأل الله أن يلهمهم الصبر والسلوان في مصابهم.

هل نحن أمام انقلاب السياسة الدولية في القضية السورية؟

بدخول القوات الروسية الكثيف إلى الساحل السوري، دخلت القضية السورية مرحلة جديدة. لم يعد النقاش يدور، كما كان في المرحلة الأولى التي تم الاتفاق فيها على بيان «جنيف 1» حول الطريقة التي ينبغي على الأسد أن يتنحى فيها عن الحكم، ليتيح للسوريين الانتقال إلى نظام سياسي جديد، يلبي تطلعاتهم إلى الحرية التي ثار شبابهم من أجلها، ولا حول استبعاد الحل العسكري، وإعطاء الأسبقية للحل السياسي، كما حصل في المرحلة الثانية التي قادت إلى انعقاد مؤتمر مونترو ومفاوضات جنيف 2، على طريق دفع الأطراف إلى الانخراط في هذا الحل. إنه يدور، الآن، في هذه المرحلة الجديدة حول الطريقة التي ينبغي، أو يمكن فيها إعادة تأهيل الأسد، وفي أية شروط، ولأي فترة، وبأية صلاحيات.

يشكل هذا التحول في الموقف الدولي انقلاباً بمقدار 180 درجة عن نقطة البداية. فقد انطلق الجهد الدبلوماسي منذ عام 2011 من نقطة واضحة، هي إرضاء مطالب الشعب السوري الذي ثار على نظام لا ينكر أحد من المسؤولين الدوليين طبيعته الدموية، وهو ما برهن عليه وأكده، بشكل أكبر، رد النظام وأجهزته على المسيرات السلمية بالسلاح الناري، منذ الأيام الأولى، قبل إدخال الأسلحة المتوسطة والثقيلة، وتالياً استخدام الأسلحة الكيميائية. وعلى الرغم من التلفيق الدعائي المنقطع النظير للنظام، وجيوشه الإلكترونية وأجهزة إعلام حلفائه، ودفاع هؤلاء عنه، بكل الوسائل واتهاماتهم للشعب والمعارضة وتشويه سمعتهما. لم تعرف تلك المرحلة سوى الإدانات القاسية للنظام القائم على ضوء ما كانت تنشره، ولا تزال، المنظمات الحقوقية والإنسانية من تقارير ووثائق تثبت تورط النظام وأجهزته في جرائم وصفت، دائماً، بأنها ترقى إلى مستوى جرائم ضد الإنسانية، ومنها جرائم الحرب وجرائم الإبادة الجماعية. وكان من نتيجة ذلك تشكيل تجمع أصدقاء الشعب السوري من أكثر من مائة دولة، والتصويت على مجموعة مهمة من القرارات في مجلس الأمن والجمعية العامة، تؤكد جميعها تجريد الأسد ونظامه من الشرعية، والاعتراف بالمعارضة السورية ممثلة شرعية للشعب السوري.

وقد زاد، في هذه المرحلة، حماس الدول والمنظمة الدولية لفكرة الانتقال السياسي، وصدرت القرارات التي تؤكد حق السوريين في التغيير السياسي، واختيار ممثليهم بحرية، وإعادة بناء نظامهم السياسي على أسس ديمقراطية. وبعد أن تركّزت الجهود الدولية، في البداية، على تأكيد شرعية المطالب الشعبية السورية التي تبنتها غالبية الدول، بدأت الجهود تتركّز، بشكل أكبر، في المرحلة الثانية على إيجاد الوسائل والطريقة المثلى لتحقيق هذا الهدف.

من تطلعات الشعب السوري إلى الحرب على الإرهاب

لم يغيّر استخدام موسكو حق النقض في مجلس الأمن من هذا التوجه العالمي الشامل نحو إدانة النظام ورجالاته، ووضعهم جميعاً على قائمة العقوبات الدولية، ولا من الإجماع على شرعية

«موسكو بررت تورطها إلى جانب النظام، بالخوف من الفوضى، وتأكيد تمسكها بالشرعية القانونية، وهي غير الشرعية السياسية المفقودة، ورفضها مبدأ التدخلات الدولية» الانتقال السياسي في سورية، وضرورة تنحّي الأسد، ورحيل نظامه الدموي. كل ما نجح فيه هو وضع العراقيل أمام وصول الجهود الدولية إلى غايتها، وتحقيق ما كان العالم كله ينتظره من تغيير سياسي، ووقف لعمليات القتل المنظم والمدروس للمدنيين السوريين. وكان النظام وحلفاؤه لا يزالون على خط الدفاع، وتحت الهجوم السياسي والقانوني والأخلاقي والعسكري أيضاً، يكاد أكثرهم لا يتجرأ على الإعلان الصريح عن دعمه له. أما موسكو فلم تكن لتجد ذريعةً للتغطية على تورطها إلى جانب النظام، إلا في رفضها نموذج حرب التدخل العراقية والليبية، أي الخوف من الفوضى، وتأكيد تمسكها بالشرعية القانونية، وهي غير الشرعية السياسية المفقودة، ورفضها مبدأ التدخلات الدولية.

لكن، منذ انهيار محادثات جنيف 2، بتصميم مشترك روسي إيراني، شهد المناخ الدبلوماسي الدولي تحولاً مضطرداً في النظر إلى القضية السورية، بدأ من خلال القبول المتزايد، ولو على مضض، إنما بشكل أكثر إلحاحاً، وبمشاركة بعض دول تجمع أصدقاء الشعب السوري، بتسويق فكرة تقاسم السلطة بين النظام والمعارضة. وبينما كان ممثلو النظام لا يزالون مستمرين برفض الاعتراف بوجود معارضة أصلاً، واعتبار ما حصل من احتجاجات شعبية مؤامرةً دوليةً ضد نظام الحكم الممانع، حاول الروس، بإصرار، فرض تفسيرهم الخاص لقرار مجلس الأمن رقم 21118 الذي أراد أن ينقذ «جنيف 1» بتقديم آلية، كانت مفتقدة، لتطبيقه، هي البدء بتشكيل هيئة حاكمة انتقالية كاملة الصلاحيات، تتشكل بالتوافق بين أطراف من النظام والمعارضة، وتمثل نوعاً من انتقال مرحلي أول للسلطة، يضمن تنفيذ بنود اتفاق جنيف العديدة، بما فيها وقف إطلاق النار وتحديد شكل النظام المقبل، وترميم مؤسسات الدولة وإصلاحها، والقيام بأعمال الإغاثة، ثم إعادة الإعمار.

وسرعان ما استخدم الأسد وحلفاؤه التفسير الروسي لشكل الهيئة الانتقالية وصلاحياتها، من أجل تقويض فكرة المفاوضات نفسها، وكسب مزيد من الوقت، على أمل تحقيق الحسم العسكري، وتشتيت المعارضة. وهذا ما ساهمت به، أيضاً، موسكو والقاهرة وطهران، في رفضها جميعاً الاعتراف بتمثيلية «الائتلاف»، وتشويه سمعته، والعمل على تجاوزه، من خلال الدعوة إلى مؤتمرات وتجمعات بديلة، من جهة، والتركيز، من جهة أخرى، على تمدد القوى المتطرفة، وفي مقدمها داعش، بل تشجيعها على التقدم في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة المسلحة، للوصول إلى ما كان الأسد وحلفاؤه يحلمون به دائماً، وهو وضع المجتمع الدولي أمام أحد خيارين لا ثالث لهما، التعامل مع نظام الأسد، مقدمة لإعادة تأهيله، أو القبول بسيطرة داعش وأخواتها.

خلال الأشهر الماضية، أحرزت هذه الاستراتيجية تقدماً كبيراً. فبدأت دول أوروبية كثيرة تتأثر ببعض الحجج والذرائع الروسية، وتظهر خوفاً متنامياً من تمدد الإرهاب على حساب التجاهل المتزايد لحقوق الشعب السوري ومصيره، ولم تعد تنظر إلى الأسد ونظامه من منظور انتهاكاته الخطيرة لحقوق الإنسان، وإنما من منظور ما يمكن أن يقدمه، بصرف النظر عن الجرائم التي ارتكبها بحق شعبه، في الحرب على الإرهاب. وفاقم من هذا التوجه عند بعضهم الفشل الذريع الذي منيت به الخطط الأميركية في هذا المجال، والخوف من الانهيار الوشيك لنظام الأسد، وتمكّن القوى الإسلامية المتطرفة، وغير المتطرفة، من السيطرة على العاصمة السورية.

رئيس أم ذريعة للتدخلات الأجنبية؟

في هذا السياق، يأتي التدخل الروسي العسكري على الأرض، ليستفيد من تخبط الاستراتيجية الغربية في المسألة السورية،

ليسترد زمام المبادرة التي فقدها، ويفرض الأمر الواقع الذي لم يكن من الممكن حتى التفكير فيه في بداية الثورة، وتحقيق ما كان النظام يحلم به، منذ اليوم

«إنقاذ الأسد هو «الجوكر»، الذي يحلم بوتين أن يتخلص، بفضله، من أزمته، ويفرض روسيا على العالم قوة رئيسية، وقطباً عالمياً لا مجال لتجاوز إرادتها ومصالحها» الأول الذي قرر فيه استخدام أقصى درجات القوة والعنف، لقلب الوضع على المتظاهرين السلميين، ووأد الثورة في مهدها. ومن خلال مشاركته في تثبيت نظام الأسد، وإعادة فرضه على السوريين، بالقوة، يحلم الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، بقلب الطاولة على الدول الغربية، واستعادة المبادرة الدولية، أو على الصعيد الدولي، وإجبار الولايات المتحدة وأوروبا على التراجع عن العقوبات التي فرضتها عليه، والتنازل له في أوكرانيا وفي بقاع العالم الأخرى. إنقاذ الأسد، وتثبيت حكمه ونظامه، هو اليوم الورقة الرئيسية، «الجوكر»، الذي يحلم بوتين أن يتخلص، بفضلها، من أزمته، ويفرض روسيا على العالم قوة رئيسية، وقطباً عالمياً لا مجال لتجاوز إرادتها ومصالحها، ولا مهرب من التعامل معها نداً، وعدم القبول بأي إجراءات عقابية ضدها، مهما كانت سياستها، تماماً كما أن أحداً لا يتصور أن تعلن مجموعة من الدول العقوبات ضد الولايات المتحدة.

هذا يعني أن معركة نظام الأسد تحولت إلى معركة روسيا نفسها ضد الغرب، وهذا ما كانت موسكو تخطط له منذ البداية. فهي لم تر في سورية شيئاً آخر، لا شعباً ولا حقوقاً ولا قانوناً ولا نظاماً ولا أسد ولا فأراً. لم تر فيها إلا أنها نافذة فرص للانقضاض على الغرب وإجهاض استراتيجية في الهيمنة والتنطع للقيادة العالمية التي فرضها أو يريد أن يستمر في فرضها على العالم.

وهذا ما حصل من قبل مع إيران الخامنئية التي لم تر، أيضاً، في سورية التي مازالت أقدامها بفعل الثورة، وتفجر الصراع الداخلي، لا نظاماً بعثياً ولا شيعة ولا سنة ولا شعباً ولا حقاً، ولا من باب أولى ممانعة أو مواجهة لإسرائيل. رأت في سورية فرصة لا تقدّر بثمن للتوسع الإقليمي واستعراض القوة والنفوذ ما كانت تحلم به في أي وقت. فكان خيارها في دعم الأسد، وتثبيت حكمه، ومده بكل وسائل القوة وسيلتها المنزلة من السماء للضغط على الغرب، ونيل ما تريده منه، من فك الحصار ورفع العقوبات وتوقيع الاتفاق النووي، والاعتراف بها قوة إقليمية رئيسية.

لم يأت الروس لشن الحرب على داعش والمنظمات الإرهابية، وإنما لحجز مقاعدهم في أي تسوية محتملة مقبلة، وليست الحرب ضد الإرهاب إلا ذريعة يستخدمونها، كما استخدمها من قبلهم الإيرانيون، وعملوا على تسهيل تمددها، ليدفعوا العراقيين والسوريين، وفي ما وراءهم المجتمع الدولي، إلى التساهل مع مشروعهم للهيمنة الإقليمية، وتبرير وضع يدهم على نظام الأسد، ومن ورائه على القرار السوري وسورية نفسها، بل إلى دفع المجتمع الدولي إلى توسل دعمهم وتعاونهم بعد قطيعة دامت عقوداً.

وهذا ما فعله نظام الأسد نفسه من قبل، عندما أطلق سراح معتقلي المنظمات المتطرفة القاعدية،

هكذا، نعيش اليوم ربما أشنع لحظة في تاريخ القضية السورية، حيث أدت المناورات والتناقضات والخيانات وأعمال الغدر، هنا وهناك، إلى أن ينقلب الوضع السياسي والدبلوماسي رأساً على عقب، فيصبح الحفاظ على نظام الأسد وتمكينه، عسكرياً وسياسياً، بذريعة الوقوف في وجه تمدد الإرهاب، الذي أطلق هو نفسه شياطينه، غاية المساعي الدولية من إنهاء النزاع في سورية، وليس إنقاذ الشعب السوري من محنته الدموية، وتلبية تطلعات السوريين، وتطمينهم على مصيرهم وحقوقهم، سواء جاء هذا التمكين بالحسم العسكري، أم بالمفاوضات، لقاء ثمن بخس، هو تشكيل حكومة «وحدة وطنية»، أي تطعيم حكومة الأسد القديمة بمزيد من شخصيات المعارضة الانتهازية والوصولية.

وهكذا، أصبح مصير الشعب السوري قضية إنسانية، تتعلق بإغاثة اللاجئين واستقبالهم، بينما أصبح تأهيل نظام الأسد المنهار البند الأول في أعظم قمة دولية سياسية، تعقد لمناقشة الشؤون العالمية.

لن يكون مصير التدخل الروسي أفضل من مصير التدخل الإيراني الذي سبقه. لكن، إذا قيّض لهذا المشروع الروسي الإيراني السوري أن ينجح، وتتحول جلسة الجمعية العامة إلى جلسة مناقشة في مصير الأسد، وإنقاذ نظامه، بدل الإجماع على دفع ملفه إلى محكمة الجنايات الدولية، كأكبر قاتل في هذا العصر، سيعني ذلك، بصرف النظر عن الأسباب ومسؤوليات المعارضة السورية وأداء الدول الحليفة والصديقة وأخطائها وحيثياتها، أنه لم يعد هناك فارق كبير في الحياة الدولية بين السياسة والجريمة المنظمة، وأن إدارة الدولة والنظام الدولي لم تعد تختلف كثيراً في عصرنا عن إدارة المافيا أعمالها ومصالحها الإجرامية. هذا هو العالم الذي تريد روسيا البوتينية أن تقودنا إليه.

برهان غليون - العربي الجديد

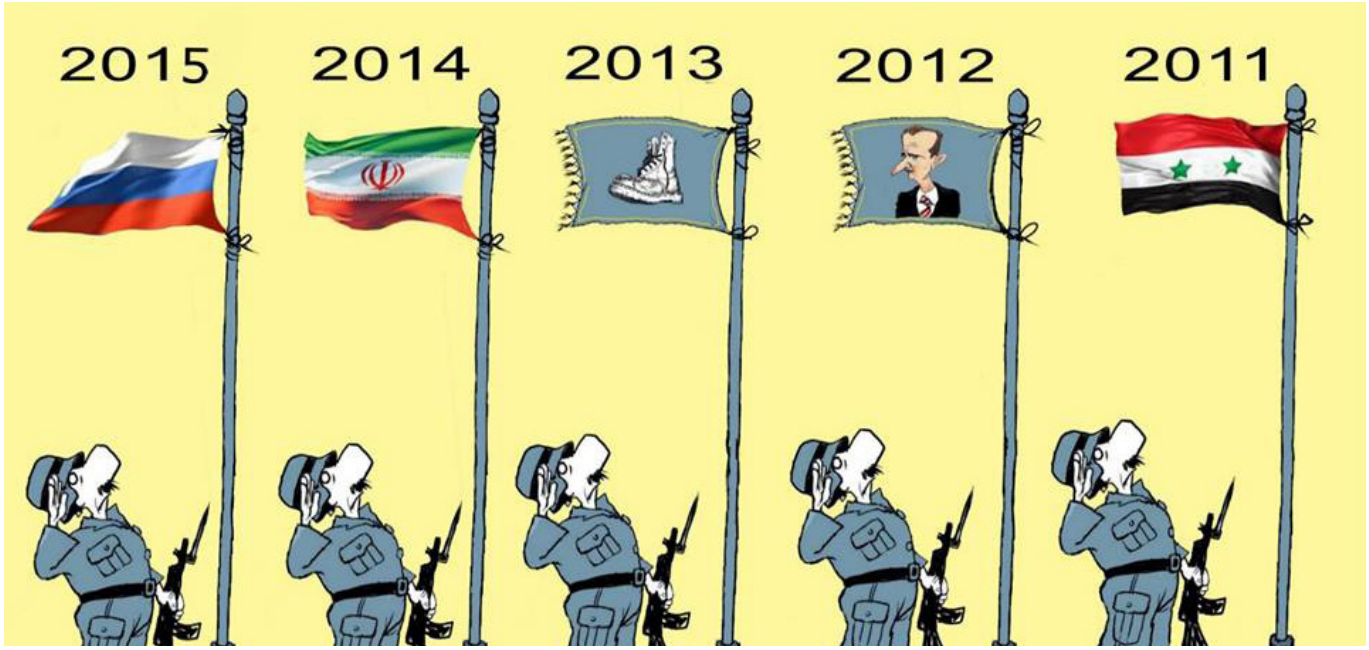

"سهام منصور"

أهدت الحصان العربي ألوانها

عبد الرزاق كنجو

لم يكن حصولها على المرتبة الأولى في مسابقة القبول لكلية الفنون الجميلة بدمشق عام 1970 حافزها الأكبر والذي زاد من طموحها واندفاعها في عالم الرسم والتصوير لتبدع حتى وهي خلف منصب لوحات التصوير أجمل لوحاتها .

تلك اللّوحات التي كانت قد بدأت بتلصيقها بشكل مبعثر على جدران منزلها في مدينة حماة فَرِحَة فيها كما يفرح الطفل بلعبته الملوّنة صبيحة يوم العيد، فكانت تدعو خلّانها وأترابها وأقاربها لتشرح لهم الأمكنة المرسومة في اللّوحات الورقية، والمستمدّة مواضيعها أساساً من حَواري حماة وأزقّتها المظلّلة دائما بشجر أخضر وأرفٍ تتشابك أغصانه مع أعمدة الهاتف والكهرباء المتهالكة هنا أو هناك، تربط بينها أسلاك متدلّية بحنانٍ لكنها تشعرك بترابط حميمي في مواجهة عوامل الطقس والتعرية صيف شتاء .

وغير بعيد عنها تلاحظ استدارة دواليب النواعير الشاهقة ودورانها الشاقولي حول نفسها محمّلة بدِلاءِ الماء المنسكب والذي يزيد طهر هيكلها الخشبيّ ويتساقط على شكل شلّالٍ مترافق بعَنينٍ دائم ونَوْح يشبه صوتَ المستغيث .

ولا غرابة إن كانت موضوعات لوحاتها مرتبطة دائماً بالأماكن القديمة والتراثيّة التي تعبّر عن التصاقها بالعادات العربية من كَرَم نَلحَظه بالأبواب المشرّعة والنوافذ المفتّوحة على مصاريعها والمنعكسة ظلالها على تكسّر جريان موجات نهر العاصي المتعرّج .

وغير بعيد عن هذا الجو اليعربي ـ ولا نقول البدوي ـ كان لابد للفنانة سهام منصور أن تلحظ جمال المُهرَةِ العربيّة وهي تركض مع أقرانها على شاطئ نهر العاصي، يمتطي صهواتها الفرسان الشّجعان في سباقات وديّة تعيد للأجيال السالفة الفخر بالحصان العربي الأصيل الذي حرص على سلالته انسان محافظة حماة، بل في سورية كلها .

لذلك وجدنا الرسامة سهام منصور تتعلق بالمهرة اللاّفتة والحصان الجموح في مضامير السباق متتبّعة باهتمام , وبعين الفنان حركات القفز واستعراض جمال الحصان في أبهى الصور .

ولقد انشغلت سهام منصور بالفارس وبالفرس وأسقطت مواضيعها بشكل مترافق للأحداث السّياسيّة في سوريا، بل وفي الأمة العربية كلها وما تبعها من انتصارات « نادرة » أو إنكسارات متواليةٍ جعلت من حصانها الشّامخ ـ سابقاً ـ منكّس الرأس حالياً شاكياً مثيراً، ومستفزاً لما حوله من الأمم لعلّها تستفيق من كبوتها وتنطلق ثائرة أو طالبة لثأرٍ من حاكم ظالم أو عدوّ مغتصب .

لم يكنْ تخرجها من الكلية عام 1974 ليرضي طموحها الفنيّ في ايجاد مهنة التدريس في المعاهد والمدارس بقَدَرِ ما هدفت اليه من تخصّص ولو بعد أكثر من عشرة سنوات. فكانت أطروحتها التخصصية متابَعَة الفوارس وساحات السباق مضيفة اليها التفاصيل والتعمّق التشريحيّ الخارجي لعضلات القوائم الأربع للحصان أثناء الترويض والجّري أو في السكون، وهذا ما دفع عين الناظر المَتأمل بجمال خلق اللّه ومنهم كانت عين فنانتنا التي افتتنت بجماله .

ولاغرابة في ذلك، ألم تكن « الجّياد الصّافنات « مثار عجب واعتزاز لسيدنا سليمان ؟ وذلك عندما اندهش منها وكادت أن تشغله بجمالها عن ذكر ربّه قبل أن يأخذ بالنواصي والأقدام ؟.

هذا من حيث الموضوع الذي غلب على أعمالها والذي اعتمدت هي في تنفيذها بألوانٍ وبتقنيات متعددة تتطوّر وتتبدّل بين مرحلة من الإنتاج وأخرى، بحيث تواكب التجارب والمدارس المحليّة والعالمية وتضيف لها أبعاداً تطبعها بطريقتها وبمدرستها التي أصبحت معروفة ومسجلة باسمها .

فمرّة تبتهج الألوان وتشع من إطاراتها، ومرات تخفت وتختزل بعضها لتتحول إلى جوٍ صوفيّ أشبه بسكون المعابد والمقابرِ ,وهذا ما نلاحظه في لوحتها عن القنيطرة أو عن رحلتها الى الديار المقدّسة سعياً لفريضة الحجّ، وفيها نجد التصوّف والهدوء، وأيدي الدعاة المرفوعة باتجاه القبلة والسماء.

لقد اعتمدت الفنانة سهام منصور في مسيرتها الفنيّة الطويلة طرقاً وأساليب متنوعةٍ بدأتها بالتسجيلية والانطباعية، كما ساهمت بلوحات وطنية وقومية هادفة ومنفذة بشكل رمزي مفهوم وكأنه دعوة أو صرخة في منشور مرسوم يستفزّ أهل الوطن ويدعوهم لمواقف مبدئيّة لا تساوم عليها ولا تحيد .

قصّة حبّ وحلم في مهرجانين

بشار فستق

في الدورة الثالثة والعشرين لمهرجان «هامبورغ السينمائيّ» التي ستجري خلال الأيّام العشر الأولى من شهر تشرين الأوّل الحاليّ، يُعرض الفلم الوثائقيّ «قصّة حبّ سوريّة» للمخرج البريطانيّ شون ماليكستير الذي اعتقلته أجهزة المخابرات السوريّة مع بدايات الثورة السوريّة 2011 بينما كان يصوّر فلمه هذا في دمشق.

يوثّق الفلم نزوح زوجين معتقلين سابقين في سجون نظام الأسد، الزوجة رغدة حسن والزوج عامر داوود ذو الأصل الفلسطينيّ، وقد التقيا في أحد أشهر أفرع الأمن العسكريّ وهو فرع فلسطين! حيث يفصل بينهما جدار الزنزانة، فيتعارفان وتنشأ بينهما قصّة حبّ، يتزوّجان بعدها عندما يفرج عنهما؛ حتّى هذه النقطة تبدو الحكاية الموثّقة خلاصة للنضال ضدّ الاستبداد والظلم بقوّة الحبّ والتوق إلى الاستمرار في الحياة، لكنّ الاختراق جاء من مجريات الواقع حين اعتقل نظام الأسد المخرج ماليكستير أثناء التصوير، وصادر الأجهزة والأدوات ومعها التسجيلات الصوتيّة للزوجين، التي تضمّ انتقاداتهما للنظام، وتفاصيل عن مشاركتهما وتنظيمهما للتظاهرات، ما اضطرّ الزوجين للهرب مع ولديهما إلى بيروت.

هكذا أصبحت شخصيّة المخرج وحياته جزءاً من الحكاية، فقد أتى إلى سورية في 2008 ليرصد ما يجري فيها تحت ظلّ «الديكتاتوريّة الفعّالة» كما أسماها، ولم يكن يصدّق – خلال ثمانية أشهر - ما يقوله المسؤولون الرسميّون من أنّ «كلّ شيء على يسير ما يرام» فقد شاهد الخوف في عيون الناس وصمتهم وابتعادهم عنه حين كان يسأل بفضول عن تفاصيل علاقتهم بالسلطة؛ إلى أن صادف عامر داوود في إحدى الحدائق، وعرف أنّه كان معتقلاً لمدّة ثلاث سنوات بسبب انتمائه إلى منظّمة التحرير الفلسطينيّة.

المصادفة جذبت المخرج إلى عالم الزوجين، لدرجة أن وصل لمراوغة أجهزة المخابرات السوريّة، عندما اعتُقل، وعدم إعطائهم معلومات عن أبطال فلمه ليترك لهما حيّزاً زمنيّاً للهروب بعد توحّش القمع الممارس ضدّ الثورة السلميّة، وقد مضى على دخوله سورية نحو ثلاث سنوات، ممّا دفعه للاستمرار في عمله على الفلم بعد خروجه من المعتقل.

الزوجة رغدة، اعتقلت بسبب انتمائها السياسيّ مرّتين، ثلاث سنوات ثمّ سنة ونصف، وأفرج عنها مع بداية الثورة. لا تستطيع البقاء مع زوجها وابنها وبنتها في بيروت فتعود إلى دمشق ما يفشل عمليّة اللجوء التي كانت العائلة تسعى إليها، لكنّ رغدة ترضخ لهم أخيراً ويلجأ الجميع إلى فرنسا. حيث يبرز دور المخرج مرّة أخرى في سياق الأحداث، فالعائلة توشك على التفكّك في حيّز اجتماعيّ لم تتأقلم معه، وتصل إلى قمّة المأساة في محاولة للانتحار، فتستنجد العائلة بمن يعرف القصّة كاملة لينقذ ذلك الزواج المبني على الحبّ والثورة وحلم الحرّيّة وثمرة هي طفلين الآن.

يذهب المخرج إلى فرنسا تلبية لنداء الزوجين في محاولة لإصلاح العلاقة بينهما، ويتابع التصوير الممتدّ منذ خمس سنوات، وترى الزوجة أنّه يمكن اعتبار ما جرى معها ملخّصاً حكاية كلّ السوريّين، خاصّة وأنّ قصة حبّها وزواجها ومن ثمّ نزوحها كانا يكثّفان ألم الوطن.

علّق المخرج الذي أصبح شاهد عيان أيضاً على مشهد العائلة في اللجوء بقوله: كان الأمر غريباً، لأنّهما في آلبي، ذلك المكان الجميل في جنوب فرنسا الذي اعتقدت أنّه الحلم، وقتها عدت بالذاكرة إلى بداية الرحلة، يوم كانا يحلمان بالحرّيّة، ولكن يبدو لي

المخرج شون ماليكستير على اليسار وعامر داوود على اليمين

أنّه بوصولهما إلى هناك فقدا الكثير، بل وفقدا بعضهما البعض، ولم يصبحا قادرين على فهم نفسيهما أو أين يقفان.

ما بعد الفلم يبقى عامر في بلد اللجوء مع الولدين، ويقول: شاهدت شريط الفيديو عبر شاشة جهاز الكومبيوتر المحمول، إنّه أنا، وهؤلاء زوجتي وأطفالي، لم أستطع أن أحبس دموعي.

أمّا رغدة فتعيش في غازي عنتاب التركيّة، قريباً من سورية، كما تقول.

حاز فلم «قصّة حبّ سوريّة» في حزيران الفائت الجائزة الكبرى لمهرجان «شيفيلد» للأفلام الوثائقيّة.

من فيلم «قصة حب سورية» للزوجة رغدة حسن

رجع أيلول

كان يحلو لسـراقب أن ترتدي الخريف، وترتدي عُدتها لموسـم القُطنِ والمدرسة، كانَ يحلو لها كما يحلو لكلِ مكانٍ ، مدُّ السجادِ في الغرف، وعلى أعتابِ الشتاء، مازال يحلو لسراقب كل شيء.

صديقـي الميـت ، مـازال موالهُ الاخيـر يُطربني، في قبـرهِ ذكرياتُ البطريـق والأقزام و تعليقِ «عصام الشوالي» وأهدافهُ الاكروباتية، كانَ اسمهُ «أبو الشواف»، وقبرهُ يَحيطُ بي لا بجسدهِ، القلبُ قبر كبير لا يتسعُ لأحدٍ، سوى الصوت.

مـن عادتي ألا أصمـت، تماماً لا أصمتُ، نقلـتُ عادتي لهذا الأزرقِ أمامـي، أثرثرُ أكثرَ مما أعرفُ، لا مشـكلةَ لديّ في التيهِ ،في النهايةِ الموضوعُ أشـبهُ بقراءةِ النعوات في الطريق ، ولكنني لا أستطيع أن أنقل ما في القلب كله، القلبُ قبرٌ موصد، قبرٌ بلا أبواب.

أيلول الابن الحرام للسـنة، لا يشـبهُ أحداً من اخوته، أجوفٌ، لا شـيءَ فيهِ سوى أغاني عن العودةِ لكلِ شيءٍ، كأنهُ محطةٌ انتظارٍ لكلِ شيءٍ، حتى الحب يؤجلُ في أيلول.

والمواويـل بلا موسـم الحصاد فارغةٌ كقبـر، عفواً كقلب صديقي الـذي إلتهمهُ برميلٌ من السماء، القلبُ مضخةُ ذكرياتٍ وتنهداتٍ وندم، صديقي لم يكن يملكُ متسعاً لكل هذا ، كانَ عليهِ العمل ليطعمَ الجميع، كمحاربٍ لا يحملُ سوى حقيبة، ويمسكُ بيدهِ بندقية .

كانَ يحملُ البيتَ بكفهِ، وفي الأخر يمسحُ العرق، القلبُ هو الابنُ الحرام للجسد، أجوف .

-قبر !!!

لا إنه قلب.

-هلا صمت أو تركتَ الريح تعبر؟

لا ، لا مسامَ في الروح، لا مسامَ للقبر، تنفس ببطءٍ، الغبارُ قاتلٌ يا صاح.

_ أريد أن أغني

عد عند الحصاد اذاً

فاتَ الموعدُ مرةً أخرى، أيلول لا يشـبهُ صديقي، الحصاد أبعدُ مما نشـتهي، البرميلُ أقرب، الرصاصُ قلبٌ ممتلئٌ، ليس أجوف، ليس كأيلول أبداً.

محمد حاج حسين